

الاتصالات ... وما بعدها

— ٢ —

كيف نختلف

بقلم: د. سري نسيبة

ان تكون لي اجتهادات او افكار معينة، فهذا شيء، وان اقوم بممارسة بعض الافعال فهذا شيء آخر، والفرق شاسع بين الاجتهاد النظري والتطبيق العملي. فاللقاءات التي تمت مع عميراف وتتم بين الفينة والفينة والاخرى مع اسرائيليين آخرين بغية دفع عجلة السلام هي ممارسة سياسية عملية. اما الافكار التي اطرحها بين الفينة والاخرى بخصوص الصراع مع اسرائيل والتي قد تبدو غريبة الشأن فهي مجرد اجتهادات نظرية. فاذا اختلفت معي البعض فقد يختلف بخصوص الفكر وقد يختلف بخصوص الممارسة.

بالنسبة للفكر، وبغض النظر عن اي مضمون معين له، فمعنى وجود الديمقراطية وحرية الرأي داخل الحركة الوطنية او داخل اتجاه معين هو العمل بموجب مبدأ اساسي: ان يكون لي الحق في ابداء وجهة الرأي الخاصة بي، ثم ان يكون من الواجب علي الالتزام بوجهة نظر الاغلبية. فهناك حق وواجب، والحق هو لي على الجماعة، والواجب هو للجماعة علي.

من هنا، فاذا اجتهدت وقلت مثلا، انه للوصول للمريخ يجب المرور بزحل وليس بالزهرة، فانه يكون من قبيل التمشويش ان يقال: فلان علي وشك السفر الى زحل، ويكون هذا تصويرا خاطئا للوضع، لان الذي طرحته كان فكرا ولم يكن اعلانا عن نية للقيام بعمل. والفكر من شأنه ان يناقش وأن يمتحن، وأن يُقِيم وأن يُنقَد. ولكن لا يتم نبذ صاحبه طالما حمده من جهة، ولكنه التزم بوجهة نظر الجماعة من جهة ثانية. رأبي الشخصي ان المرور بزحل افضل، ولكنني حين آتي للممارسة، فانني اضع رأبي الشخصي جانبا، واكرس جهدي ان نمر عبر الزهرة. فان التزمت من جهتي بالجانب الاول من مبدأ الديمقراطية، فمن حقي على الجماعة ان تلتزم بالجانب الثاني تجاهي، وهو جانب اعطائي الحق بان اقول أيي دون ان اقع تحت طائلة التخويف.

هذا بالنسبة للفكر، واما بالنسبة للممارسة العملية فالهامش اضيق؛ ويتعلق السؤال هنا ليس بايهما افضل، المرور عبر زحل او الزهرة، بل بما اذا كانت هذه الممارسة من تلك من شأنها ان تؤدي فعلا الى الزهرة، او اذا كان من شأنها ان تؤدي الى مكان آخر، لا يريد احد منا الوصول اليه.

فالتقاءات التي اجريناها مع عميراف مثلا، انما اجريناها بهدف الوصول الى هدف ضمن ثوابت او اساس متفق عليها. فالهدف في هذه الحالة هو حق تقرير المصير واتامة الدولة المستقلة وعودة اللاجئين، وكان المفتاح المتفق عليه هو منظمة التحرير. فاذا اختلفت احد معنا في هذا الخصوص، يكون ذلك ليس على اساس اننا استبدلنا الثوابت المتفق عليها بافكار خاصة من عندنا، ولكن على اساس اننا قد نكون قد اختلفنا في تحقيق هذا الهدف المتفق عليه، او على اساس اننا اغفلنا حقيقة ان هذا لا يحقق ما نؤمله.

والفرق هائل بين هذا النوع من الخطأ، ان افترضنا وقوعه اصلا، وبين ممارسات عملية لا تقع ضمن حدود الساحة الوطنية، ومنها مثلا لقاءات فلسطينية اسرائيلية، تتم من اجل ضرب الحركة الوطنية، ولكن وبالرغم من ذلك، فان الضرر الذي يُفكَن ان ينجم عن ممارسة عملية مهما كانت ملتزمة على الصعيد الذاتي، اكبر بكثير من الضرر الذي يُفكَن ان ينجم عن التعبير عن رأيي، مما يتطلب إخضاع الممارسة العملية لمجموعة ضوابط، منها واهمها عدم الانفراد بالقرار بالقيام بعمل ما والعمل بدلا عن ذلك من خلال المجموعة ومشاركتها الامر